

عَلَى مَائِدَةِ الْعَفِيفَةِ

١٤

الْجَامِعِيَّةُ

فِي الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ

وَالْعُقُودِ الصَّحِيحِ

رِسَالَةٌ مُوَحَّدَةٌ تُجِيبُ عَنْ أَدْوَابِ الْخَائِنَةِ

وَتُحِبُّ عَلَى الْأَسْبَلَةِ الْمَطْرُوحَةِ



جَعْفَرُ بْنُ بَحَّانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الخاتمية فى الكتاب و السنه و العقل الصريح

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٨	الخاتمية فى الكتاب و السنه و العقل الصريح
٨	اشاره
٨	اشاره
١١	المقدمه
١٤	تقديم ملامح الشريعه الإسلاميه
١٧	الفصل الأول الخاتمية فى الذكر الحكيم
١٧	اشاره
٢٢	النص الأول:
٢٢	اشاره
٢٣	الخاتم وما يراد منه:
٢٥	النص الثانى:
٢٦	النص الثالث:
٢٨	النص الرابع:
٢٨	النص الخامس:
٣٢	الفصل الثانى الخاتمية فى الأحاديث النبويه
٣٢	اشاره
٣٦	الخاتمية فى أحاديث العتره الطاهره
٤٠	الفصل الثالث أسئله حول الخاتمية
٤٠	اشاره
٤٢	١- فكره «الشعب المختار»:
٤٢	٢- الانتماء إلى اليهوديه والنصرانيه مفتاح الجنه:
٤٣	٣- الهدايه فى اعتناق اليهوديه والنصرانيه:

- ٤٣ ..... اشارة
- ٤٩ ..... الف- الاعتراف بحجية العقل فى مجالات خاصة:
- ٥١ ..... ب- إن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية:
- ٥٤ ..... ج- التشريع الإسلامى ذو مادة حيوية:
- ٥٥ ..... د- تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه:
- ٥٦ ..... هـ- حقوق الحاكم الإسلامى أو ولاية الفقيه:
- ٥٧ ..... مرونة التشريع الإسلامى:
- ٥٧ ..... اشارة
- ٥٨ ..... الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادة والروح:
- ٥٨ ..... الثانى: النظر إلى المعانى لا إلى الظواهر:
- ٥٩ ..... الثالث: الأحكام التى لها دور التحديد:
- ٦١ ..... الجانب الثابت من حياة الإنسان:
- ٦٣ ..... الجانب المتغير فى الحياة الإنسانية:
- ٦٣ ..... اشارة
- ٦٦ ..... ١- فى مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية:
- ٦٧ ..... ٢- فى العلاقات الدولية التجارية:
- ٦٧ ..... ٣- فى مجال الدفاع عن حريم الإسلام:
- ٦٧ ..... اشارة
- ٦٩ ..... - فى نشر العلم والمعارف والثقافة:
- ٦٩ ..... - فى مجال إقامة النظام:
- ٧٠ ..... - فى مجال المبادلات المالية:
- ٧٢ ..... خاتمة المطاف الشيعة والخاتمية
- ٧٢ ..... اشارة
- ٧٣ ..... ١- كتاب على وإملاء رسول الله:

- ٢- مصحف فاطمة: ..... ٨٧
- ٣- ما هو مصدر روايات أئمة أهل البيت؟ ..... ٩٠
- اشارة ..... ٩٠
- أ- النقل عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه و آله ..... ٩٠
- ب- النقل عن كتاب على ..... ٩١
- ج- الإلهام أو تحديث الملائكة ..... ٩١
- المُحَدَّث في الإسلام: ..... ٩٢
- تعريف مركز ..... ٩٧

## الخاتمية فى الكتاب و السنه و العقل الصريح

### اشاره

نام كتاب: الخاتمية فى الكتاب و السنه و العقل الصريح

نويسنده: آيه الله الشيخ جعفر السبحانى

موضوع: اعتقادات و پاسخ به شبهات

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: نشر مشعر

مكان چاپ: تهران

نوبت چاپ: ١

ص: ١

### اشاره







ص: ٤

**المقدمة**

قال الله تبارك وتعالى:

«ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» الأحزاب / ٤٠

روى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعاً فَجَعَلَ النَّاسَ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ هَذِهِ اللَّبْنَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ

التاج ٣: ٢٢ نقلًا عن البخاري ومسلم والترمذي

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد رُسله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنها تشكل حجر الزاوية في سلوكهم ومنازلاً يضيء دروبهم وزاداً لمعادهم. ولهذا كرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفترة المكية من حياته الرسالية نفسه لإرساء أسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك والوثنية، ثم بنى عليها في الفترة المدنية صرح النظام الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي. ولهذا - ونظراً للحاجة المتزايدة - رأينا أن نقدم للأمة الإسلامية الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدة من كتاب الله العزيز، والسنة الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتفق عليه علماء الأمة الكرام، والله الموفق. معاونة التعليم والبحوث الإسلامية



ص: ٧

## تقديم ملامح الشريعة الإسلامية

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيسيتين:

الأولى: عالميتها وشموليتها.

الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

أما الأولى: فمعناها أن دعوتها عالمية لا تنحصر بإقليم معين وهي من أبرز الملامح التي يستهدفها القرآن في دعوته ورسالته.

يقول سبحانه: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان / ١).

ص: ٨

ويقول أيضاً: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سبأ / ٢٨).  
وقال سبحانه: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً...» (الأعراف / ١٥٨).

لقد بعث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سفراءه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها ويبد كل واحد منهم كتاب يعبر عن عالمية دعوته، فقد بعث إلى قيصر الروم، وكسرى فارس وعظيم القبط وملك الحبشة، والحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام وحوزة بن علي الحنفي ملك اليمامة، وغيرهم من ملوك العرب وشيوخ القبائل والأساقفة، والمرابطة، والعمال، وهذه الموثيق أوضح دليل على أن رسالته عالمية لا تحدد بحد، بل تجعل الأرض كلها ساحة لإشاعة دينه وتطبيق شريعته.

هذا والبراهين على عالمية دعوته كثيرة لا مجال لذكرها.

نعم ربما قد تظهر بعض المغالطات من النصارى القدامى في هذه النقطة؛ حيث حاولوا تحجيم أمر الرسالة وتخصيصها بمكان وعنصر خاصين، وليست شبهاتهم قابلة للذكر.

كيف وبيانات القرآن وخطاباته للبشر كافة وموثيق الرسول ودعوته المتجاوزة حدود الجزيرة العربية، واجتياح جيوش

ص: ٩

المسلمين ورجالهم أرض غير العرب واستقرار الامة الإسلامية في أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أبطلت هذه المغالطات وجعلتها في مدحرة البطلان ولذلك نعود إلى الملمح الثاني من ملامح الشريعة الإسلامية، في بحثنا وهو خاتمتها تعنى: أنها آخر الشرائع وأن المبعوث بها، هو خاتم الأنبياء فشريعته خاتمة الشرائع، وهذا ما نحاول دراسته في هذه الرسالة ونستدل عليه عن طريق الكتاب والسنة ونحلل الإشكالات المثارة حوله كل ذلك في ضمن فصول.

ص: ١٠

## الفصل الأول الخاتمية في الذكر الحكيم

### إشارة

اتفقت الأمة الإسلامية - عن بكره أبيها - على أن نبيهم محمداً خاتم النبيين، وأن دينه خاتم الأديان، وكتابه خاتم الكتب والصحف، فهو صلى الله عليه وآله آخر السفراء الإلهيين، أو صد به باب الرسالة والنبوة، وختمت به رسالة السماء إلى الأرض. لقد اتفق المسلمون كافة على أن دين نبيهم، دين الله الأبدى، وكتابه، كتاب الله الخالد ودستوره الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد أنهى الله إليه كل تشريع وأودع فيه أصول كل رقي، وأناط به كل سعادة ورخاء، فأكملت بدينه وكتابه



ص: ١١

الشرائع السماوية التي هي رسالة السماء إلى الأرض.

توضيحه: أن الشريعة الإلهية الحقّة التي أنزلها الله تعالى إلى أوّل سفرائه لا تفترق جوهرًا عمّا أنزله على آخرهم، بل كانت الشريعة السماوية في بدء أمرها كنواة قابلة للنمو والنشوء، فأخذت تنمو وتستكمل عبر القرون والأجيال، حسب تطور الزمان وتكامل الأمم، وتسرب الحصافة إلى عقولهم، وتسلب الحضارة إلى حياتهم.

ويفصح عمّا ذكرنا قوله سبحانه: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...» (الشورى / ١٣) فقد وصّى نبينا محمداً بما وصّى به نوحاً، من توحيده سبحانه وتنزيهه عن الشرك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والتنديد بالجرائم الخلقية، والقضاء على أسبابها، إلى غير ذلك ممّا تجده في صحف الأولين والآخرين.

وتتجلى تلك الحقيقة الناصعة، أي وحدة الشرائع السماوية، جوهرًا من مختلف الآيات في شتى المواضع، قال سبحانه: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» (آل عمران / ١٩) وظاهر الآية يعطى أن الدين عند الله - لم يزل ولن يزال - هو الإسلام في طول القرون والأجيال، ويعاضدها قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

ص: ١٢

منه» (آل عمران / ٨٥). وقال سبحانه في مورد آخر مخطئاً مزعمه اليهود والنصارى في رمى - بطل التوحيد - إبراهيم باليهودية والنصرانية قال: «وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (آل عمران / ٦٧).  
فحقيقه الشرائع السماوية في جميع الأدوار والأجيال كانت أمراً واحداً وهو التسليم في فرائضه وعزائمه وحده.  
ولأجل ذلك كتب الرسول إلى قيصر عندما دعاه إلى الإسلام، قوله سبحانه: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (١).  
وقد أمر سبحانه في آية أخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو الناس جميعاً إلى اتباع مله إبراهيم قال سبحانه: «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (آل عمران / ٩٥).

وصرح سبحانه بأن كل نبي جاء عقب نبي آخر، كان يصرح بأنه مصدق بوجود النبي المتقدم عليه وكتابه ودينه، فالمسيح مصدق لما بين يديه من التوراة ومحمد صلى الله عليه وآله مصدق لما بين يديه من الكتب وكتابه مهيمن عليه، كما قال سبحانه: «وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

١- السيرة الحلبية ج ٢: ص ٢٧٥، مسند أحمد ج ١: ص ٢٦٢.

ص: ١٣

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ»، «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» (المائدة/ ٤٦، ٤٨).

وهذه النصوص كلها تعبر عن وحدة أصول الشرائع وجذورها ولبابها.

وعلى هذه فرسالة السماء إلى الأرض، رسالة واحدة في الحقيقة مقولة بالتشكيك، متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال الأجيال وكلهم يحملون إلى المجتمع البشري رسالة واحدة لتصعد بهم إلى مدارج الكمال، وتهديهم إلى معالم الهداية ومكارم الأخلاق. نعم كان البشر في أوليات حياتهم يعيشون في غاية البساطة والسذاجة، فما كانت لهم دولة تسوسهم، ولا مجتمع يخدمهم ولا ذرائع تربطهم، وكانت أواصر الوحدة ووشائج الارتباط بينهم ضعيفة جداً، فلأجل ذلك القصور في العقل، وقله التقدم، وضعف الرقي، كانت تعاليم أنبيائهم، والأحكام المشروعة لهم، طفيفة في غاية البساطة، فلما أخذت الإنسانية بالتقدم والرقي، وكثرت المسائل يوماً فيوماً، اتسع نطاق الشريعة واكتملت الأحكام تلو هذه الأحوال والتطورات.

ص: ١٤

فهذه الشرائع (مع اختلافها في بعض الفروع والأحكام نظراً إلى الأحوال الأُممية والشؤون الجغرافية) لا تختلف في أصولها ولبابها، بل كلها تهدف إلى أمر واحد، وتسوق المجتمع إلى هدف مفرد، والاختلاف إنما هو في الشريعة والمنهاج لا في المقاصد والغايات كما قال سبحانه: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (المائدة/ ٤٨) (١).

وقال سبحانه: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الجاثية/ ١٨).  
 وخلاصة القول: أن السنن مختلفة، فالتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة ولكن الدين هو الأصول والعقائد والأحكام التي تسير الفطرة الأنسانية ولا تخالفها، واحدة منها.  
 وهاتان الآيتان لا تهدفان إلى اختلاف الشرائع في جميع موادها، ومواردها اختلافاً كلياً بحيث يكون من النسبة بينها نسبة التباين، كيف وهو سبحانه يأمر نبيه بالافتداء بهدى أنبيائه

١- أي جعلنا لكل من موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أو لكل من أمم التوراة والإنجيل والقرآن شريعة وطريقاً خاصاً إلى ما هو الهدف الأقصى من بعث الرسل ومنهاجاً واضحاً، والاختلاف بين الكتب والشرائع جزئي لا كلي، والنسخ في بعض الأحكام لا في جميعها

ص: ١٥

السالفين ويقول: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» (الأنعام / ٩٠).

نعم جاءت الرسل تترى، وتواصلت حلقات النبوة في الأدوار الماضية إلى أن بعث الله آخر سفرائه فأتم نعمته وأكمل به دينه، فأصبح المجتمع البشرى في ظل دينه الكامل، وكتابه الجامع، غنياً عن تواصل الرسالة وتعاقب النبوة، وأصبح البشر غير محتاجين إلى إرسال أى رسول بعده، إذ جاء الرسول بأكمل الشرائع وأتقنها وأجمعها للحقوق وبكل ما يحتاج إليه البشر في أدوار حياتهم وأنواع تطوراتهم وفي الوقت نفسه فيها مرونة تتمشى مع جميع الأزمنة والأجيال، من دون أن تمس جوهر الرسالة الأصلية بتحويل وتحريف. وإليك أدلة خاتميته من الكتاب أولاً، والسنة ثانياً، أما الكتاب ففيه نصوص:

### النص الأول:

#### إشارة

قوله سبحانه: «ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا» (الأحزاب / ٤٠).  
توضيح الآية: تبني رسول الله صلى الله عليه وآله زيدا قبل عصر الرسالة وكانت العرب ينزلون الأدياء منزلة الأبناء في أحكام الزواج

ص: ١٦

والميراث فأراد الله سبحانه أن ينسخ تلك السنّة الجاهليّة، فأمر رسوله أن يتزوج زينب زوجة زيد بعد مفارقتها لها فلما تزوّجها رسول الله أوجد ذلك ضجة بين المنافقين والمتوغّلين في النزعات الجاهليّة والمنساقين وراءها، فردّ الله سبحانه مزاعمهم بقوله «ما كان محمداً أباً أحداً من رجالكم» من الذين لم يلداهم ومنهم زيد «ولكن رسول الله» وهو لا يترك ما أمره الله به «وخاتم النبيين» وآخرهم ختمت به النبوة فلا نبي بعده ولا شريعته بعد شريعته، فنبوته أبدية وشريعته باقية إلى يوم الدين.

### الخاتم وما يراد منه:

لقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأول: بفتح التاء وعليه قراءة عاصم ويكون بمعنى الطابع الذي تختم به الرسائل والمواثيق فكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى باب النبوة كالطابع، ختم به باب النبوة واوَصِدَ وأغْلِقَ فلا يفتح أبداً.

الثاني: بكسر التاء وعليه يكون اسم فاعل أي الذي يختم باب النبوة وعلى كلتا القراءتين فالآية صريحة على أن باب النبوة أو بعث الأنبياء ختم بمجيء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ص: ١٧

قال أبو محمد الدميري:

والخاتِمُ الفاعلُ قُلُّ بالكسر وما به يُختم فتحاً يجرى وأنت إذا رجعت التفاسير المؤلفة منذ العصور الأولى إلى يومنا هذا ترى أن عامة المفسرين يفسرونها بما ذكرنا ويصرحون بأن وصفه صلى الله عليه وآله وتشبيهه بالخاتم (بالفتح) لأنه كان الرسم الدائر بين العرب هو ختم الرسالات بخاتمهم الذى بين أصابعهم، فكانت خواتيمهم طوابعهم فكان النبي الأكرم بين الأنبياء هو الخاتم ختم به باب النبوات، ولك أن تستلهم هذا المعنى من الآيات الكثيرة التى وردت فيها مادة تلك الكلمة، فترى أن جميعها يفيد هذا المعنى.

كالآيات التالية:

- ١- قال سبحانه: «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ» (المطففين / ٢٥) أى مختوم بابه بشيء مثل الشمع وغيره دليلاً على خلوصه.
  - ٢- وقال سبحانه: «خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُتَنَفِّسُونَ» (المطففين / ٢٦) أى آخر شربه تفوح منه رائحة المسك.
  - ٣- وقال سبحانه: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ» (يس / ٦٥) أى يطبع على أفواههم فتوصد، وتتكلم أيديهم.
- إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها مادة تلك الكلمة،

ص: ١٨

والكلّ يهدف إلى الانتهاء والانقطاع وفي مورد الآية .. إنتهاء النبوة وانقطاعها.

### النص الثاني:

قوله سبحانه: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان / ١).

والآية صريحة في أنّ الغاية من تنزيل القرآن على عبده (النبيّ الأعظم) صلى الله عليه و آله كون القرآن نذيراً للعالمين من بدء نزوله إلى يوم يبعثون، من غير فرق بين تفسيرها بالإنس والجن أو الناس أجمعهم، وإن كان الثاني هو المتعين، فإنّ العالمين في الذكر الحكيم جاء بهذا المعنى.

قال سبحانه حاكياً عن لسان لوط: «قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ\* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ\* قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ» (الحجر/ ٦٨- /٧٠).

فإنّ المراد من العالمين في كلامهم هم الناس إذ لا معنى لأن ينهونه عن استضافة الجن والملائكة، ونظيره قوله سبحانه حاكياً عن لسان لوط: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ» (الشعراء / ١٦٥) فالمراد من العالمين في كلتا الآيتين هم الناس.



ص: ١٩

وبذلك يعلم قوة ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام من أن العالمين عنى به الناس وجعل كل واحد عالماً، ولا يعدل عن ذلك الظاهر إلّا بقريته وبما أنه لا قرينه على العدول من الظاهر فيكون معنى قوله: «ليكون للعالمين نذيراً» أى نذيراً للناس أجمعهم من يوم نزوله إلى يوم يبعثون.

### النص الثالث:

قوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابًا عَزِيزًا\* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت / ٤١-٤٢).

وجه الدلالة على الخاتمية، أن المراد من الذكر هو القرآن بقريته قوله سبحانه: «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» (آل عمران / ٥٨).

والضمير فى «لا- يأتیه» يرجع إلى الذكر ومفاد الآية أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من أى جهة من الجهات، فلا يأتیه الباطل بأية صورة متصورة، ودونكصوره.

١- «لا يأتیه الباطل أى لا ينقص منه شىء ولا يزيد عليه شىء».

ص: ٢٠

٢- «لا يأتيه الباطل: أى لا يأتيه كتاب يبطله وينسخه وأن يجعله سُدى فهو حقّ ثابت لا يبدّل ولا يغيّر ولا يترك».

٣- «لا يأتيه الباطل: لا يتطرق الباطل فى إخباره عمّا مضى ولا فى إخباره بما يجىء، فكلها تطابق الواقع».

وحاصل الآيه، أنّ القرآن حق لا يداخله الباطل إلى يوم القيامة، فإذا كان حقاً مطلقاً مصوناً عن تسلل البطلان إليه ومتبعاً للناس إلى يوم القيامة يجب عند ذلك دوام رسالته وثبات نبوته وخاتمة شريعته.

وبتعبير آخر أنّ الشريعة الجديدة إمّا أن تكون عين الشريعة الإسلامية الحقّة أو غيرها، فعلى الأول لا حاجة إلى الثانية، وعلى الثانى: فإمّا أن تكون الثانية حقّة كالأولى فيلزم كون المتناقضين حقاً أو أن تكون الأولى حقاً دون الأخرى وهذا هو المطلوب، وشريعة الرسول الأعظم جزءٌ من الكتاب الحق الذى لا يدانيه الباطل وسنته المحكمة التى لا تصدر إلّابإيحاء منه كما قال تعالى «وما ينطق عن الهوى\* إن هُوَ إلّا وحيّ يُوحى\* علّمهُ شديدُ القُوَى» (النجم / ٣- / ٥) فالآيه صريحة فى نفي أىّ تشريع بعد القرآن وأيّ شريعة بعد الإسلام، فتدلّ بالملازمة على عدم النبوة التشريعية بعد نبوته.

ص: ٢١

**النص الرابع:**

قوله سبحانه: «قُلْ أُمِّي شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...» (الأنعام / ١٩).  
 وظاهر الآية: أن الغاية من نزول القرآن تحذير من بلغه إلى يوم القيامة وبذلك يُفسَّر قوله سبحانه في آية أخرى: «وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربياً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا...» (الشورى / ٧).  
 فإنَّ المراد «ومن حولها» جميع أقطار المعمورة، وعلى فرض انصرافها عن هذا المعنى العام فلا مفهوم للآية بعد ورود قوله سبحانه: «لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ».

**النص الخامس:**

قوله سبحانه «وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سبأ / ٢٨).  
 والمتبادر من الآية كون «كافة» حالاً من الناس قُدِّمَتْ على ذيها وتقدير الآية وما أرسلناك إلا للناس كافة بشيراً ونذيراً.  
 وإليك محصّل الآيات الخمس:  
 أمّا الأولى فهو: أن باب الإخبار عن السماء الذي كان هو النبوة

ص: ٢٢

قد اوصد وبأى صاده تكون النبوة مختومه وبختمها تكون الشريعة المحمدية أبدية لأن تجديد الشريعة فرع فتح باب النبوة، فإذا كان التنبؤ بإخبار السماء مغلقاً فلا يمكن الإخبار عن السماء بوجه من الوجوه ومنها نسخ الشريعة. وأما الآيات الأربع الباقية فهي صريحة ببقاء الشريعة الإسلامية بعموميتها، فمجموع الآيات يركز على أمر واحد: خلق باب النبوة وأبدية الشريعة الإسلامية.

هذه هي النصوص، ومع ذلك ففي القرآن إشارات إلى الخاتمية بعناوين أخرى نشير إلى بعض منها:  
 الأولى: «أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين\* وتتمت كلمه ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» (الأنعام / ١١٤- / ١١٥).  
 إن دلالة قوله سبحانه «وتتمت كلمه ربك...» على إيراد باب الوحي إلى يوم القيامة واضحة بعد الوقوف على معنى الكلمة، فإن المراد منها الدعوة الإسلامية، أو القرآن الكريم وما فيه من شرائع وأحكام والشاهد عليها الآية المتقدمة حيث قال سبحانه: «وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب

ص: ٢٣

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» فالمراد من قوله «أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ» هو القرآن النازل على العالمين، ثم يقول: بَأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِذَا تَخَلَّصُوا مِنَ الْهَوَى يُعْلَمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَحَى إِلَهَى كَالْتُورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْحَقِّ، فَلَا يَصِحُّ لِأَيِّ مَنْصَفٍ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي كَوْنِهِ نَازِلًا مِنْهُ إِلَى هِدَايَةِ النَّاسِ.

ثم يقول في الآية التالية: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» بظهور الدعوة المحمدية، ونزول الكتاب المهيم على جميع الكتب وصارت مستقرة في محلها بعدما كانت تسير دهرًا طويلًا في مدارج التدرج بنبوة بعد نبوة وشريعة بعد شريعة [\(١\)](#).

وهذه الكلمة الإلهية - أعني الدعوة الإلهية المستوحاة في القرآن الكريم - صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأحكام من الأمر والنهي، عدل لا يخالطه ظلم، ولأجل تلك التمامية لا تتبدل كلماته وأحكامه من بعد [\(٢\)](#).

هذه نظرة إلى القرآن حول الخاتمية ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع التفاسير، وكما أن الكتاب الحكيم اهتم

١- الطباطبائي، الميزان ٧: ٣٣٨، الطبرسي، مجمع البيان ٢: ٣٥٤.

٢- وقد استعملت الكلمات في القرآن الكريم في الشرائع الإلهية قال سبحانه واصفًا مريم: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا...» التحريم:

ص: ٢٤

بالخاتمية، فهكذا اهتمت بها السنّة النبوية وروايات العترة الطاهرة ولو حاولنا أن نذكر ما وقفنا عليه في ذلك المجال من المآثر لطلال موقفنا مع القراء ولذلك نقتصر على اثنتي عشرة رواية مع أنّ المآثور يتجاوز المائة.

## الفصل الثانی الخاتمیة فی الأحادیث النبویة

### إشارة

لقد حصحص الحقّ بما أوردناه من النصوص القرآنیة وانكشف الريب عن مُحییّ الواقع فلم تبق لمجادلٍ شبهة فی أنّ الرسول فی الذكر الحكیم خاتم النبیین وشریعته خاتمة الشرائع وكتابه خاتم الكتب. وقد وردت الخاتمیة على لسان النبى الأكرم، نذكر منها ما یأتى:

۱- خرج رسول الله صلى الله عليه و آله من المدينة إلى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال على عليه السلام: أخرج معك؟ فقال: لا، فبكى على فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من

ص: ٢٦

موسى إله لأنه لا نبي بعدى أو ليس بعدى نبي ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي». والحديث على لسان المحدثين حديث المنزلة لأن النبي نزل فيه نفسه منزلة موسى ونزل علياً مكان هارون، أخرجه البخاري في صحيحه في غزوة تبوك، ومسلم في صحيحه في باب فضائل علي عليه السلام، وابن ماجه في سننه في باب فضائل أصحاب النبي، والحاكم في مستدركه في مناقب علي عليه السلام وإمام الخنابلة في مسنده بطرق كثيرة (١).  
 ووضوح دلالة الحديث على الخاتمية بمكان أغنانا عن البحث حولها.  
 ٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ» فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع هذه اللبنة، قال رسول الله: «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء». أخرجه البخاري ومسلم والترمذي (٢).

- 
- ١- البخاري، الصحيح ٣: ٥٨، مسلم، الصحيح ٢: ٣٢٣، ابن ماجه، السنن ١: ٢٨، الحاكم، المستدرک ٣: ١٠٩، أحمد بن حنبل، المسند ١: ٣٢١، و ٢: ٣٦٩، ٤٣٧.  
 ٢- منصور على ناصف، التاج الجامع للأصول ٣: ٢٢ والكتاب يجمع أحاديث الخمسة إلّا ابن ماجه.



ص: ۲۷

- ۳- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، أنا الماحى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر، يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى» (۱).
- ۴- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر» (۲).
- ۵- قال النبى صلى الله عليه وآله: يا على أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يجاهدك فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله» (۳).
- ۶- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا رسول بعدى ولا نبى» قال: فشق ذلك على الناس فقال: «ولكن المبشرات» فقالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ فقال: «رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة» (۴).
- ۷- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ارسلت إلى الناس كافةً وبى ختم النبيون» (۵).

۱- مسلم، الصحيح ۸: ۸۹، مسند أحمد ۴: ۸۱ و ۸۴، ابن سعد، الطبقات الكبرى ۱: ۶۵.

۲- الدارمى، السنن ۱: ۲۷.

۳- أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء ۱: ۶۶.

۴- الترمذى، السنن ۳: ۳۶۴.

۵- الإمام أحمد، المسند ۲: ۴۱۲، ابن سعد، الطبقات ۱: ۱۲۸.

ص: ۲۸

۸- قال النبی صلی الله علیه و آله: «كنت أول الناس فی الخلق و آخرهم فی البعث» (۱).

۹- استأذن العباس بن عبد المطلب النبی فی الهجرة فقال له:

«يا عم أقم مکانک الذی أنت فیہ فإنّ الله تعالی یختم بک الهجرة كما ختم بی النبوة» ثم هاجر إلى النبی وشهد معه فتح مكة وانقطعت الهجرة (۲).

۱۰- قالصلى الله علیه و آله: «يكون فى امتى ثلاثون كذاباً، كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبيين، لا نبى بعدى» (۳).

۱۱- قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «فُضِّلْتُ بَسْتٌ: اعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وارسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون» (۴).

۱۲- روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن النبيصلى الله عليه و آله أنه قال:

قال النبی صلی الله علیه و آله: «يا أيها الناس إنّه لا نبى بعدى ولا سنّة بعد سنتى،

۱- ابن سعد، الطبقات الكبرى ۱: ۹۶، القندوزى، ينابيع المودة: ۱۷ وفيه أول الأنبياء فى الخلق.

۲- الجزرى، اسد الغابة ۳: ۱۱۰.

۳- الجزرى، عن الترمذى، الجامع للأصول ۱۰: ۴۱۰.

۴- السيوطى، الجامع الصغير ۲: ۱۲۶.

ص: ٢٩

فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه ومن تبعه فأنه في النار» (١).

### الخاتمية في أحاديث العترة الطاهرة

قد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أحاديث آخر في مجال كونه خاتماً غير أن ذكر الجميع غير ميسور لنا، واردف البحث بما روى عن عترته الطاهرة عليهم السلام في هذا المجال، ونقتصر على القليل من الكثير، فإن المروى عنه في ذلك المجال متوفر جداً.

١- قال الإمام علي عليه السلام: إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سمائه، كريماً ميلاده» (٢).

٢- قال الإمام علي عليه السلام: إجعل شريفصلواتك ونامى بركاتك على محمد صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك الخاتم لما سبق» (٣).

٣- وقال عليه السلام: أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، ففقا به الرسل وختم به الوحي» (٤).

٤- قال عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه: بأبي أنت

١- الصدوق، الفقيه ٤: ١٦٣.

٢- نهج البلاغة، الخطبة: ١.

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ٦٩.

٤- نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٩.

ص: ٣٠

وأُمى لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء، خصّيت حتىصرت مسلياً عمّن سواك وعممت حتىصار الناس فيك سواء «(١)». هذا وقد روى عن غير الإمام على عليه السلام من العترة الطاهرة ونذكر منهم ما يأتي:

٥- عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: لَمَّا حملتُ بالحسن وولدتَه جاء النبي ثم هبط جبرئيل فقال: يا محمد! العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبيّ بعدك سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون «(٢)».

٦- وروى عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: جاء نفر إلى رسول الله فقالوا: يا محمد إنك الذي تزعم أنك رسول الله وأنتك الذي يوحى إليك كما أوحى الله إلى موسى بن عمران؟ فسكت النبي ساعة ثم قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين» «(٣)».

٧- روى عن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال لرسول الله:

فأخبرني يا رسول الله هل يكون بعدك نبي؟ فقال: «لا، أنا خاتم النبيين لكن يكون بعدى أئمة قوامون بالقسط، بعدد نقباء بني

١- نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٥.

٢- الصدوق، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥.

٣- البحراني، البرهان ٢: ٤١.

ص: ٣١

إسرائيل» (١)».

٨- وقال الإمام السجاد عليه السلام في بعض أدعيته: صلّ على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأعدنا وأهلينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات مما استعدنا منه (٢)».

٩- وقال الإمام الباقر في حديث: وقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبئكم الأنبياء (٣)».

١٠- وقال الإمام الصادق عليه السلام: فكلّ نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة (٤)».

١١- وقال عليه السلام: بعث الله سبحانه أنبياءه ورسله ونبئه محمداً، فأفضل الدين معرفة الرسل وولايتهم، وأخبرك أن الله أحلّ حلالاً وحرم حراماً إلى يوم القيامة (٥)».

١٢- روى زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحرام

١- ابن شهر آشوب، المناقب ٢: ٣٠٠، الحر العاملي، إثبات الهداة ٢: ٥٤٤.

٢- الإمام السجاد، الصحيفة السجادية، الدعاء: ١٧.

٣- الكليني، الكافي ١: ١٧٧، الفيض، الوافي ٢: ١٩.

٤- الكليني، الكافي ٢: ١٧، البرقي، المحاسن: ١٩٦.

٥- المجلسي، البحار ٢٤: ٢٨٨.

ص: ٣٢

والحلال فقال: حلال محمد حلال أبدأ إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيء غيره «(١)».

١٣- وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: إذا وقفت على قبر رسول الله فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك خاتم النبيين «(٢)».

١٤- وقال الإمام الرضا عليه السلام في سؤال من سأله: ما بال القرآن، لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غصاصة؟ قال: لأن الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غصص إلى يوم القيامة «(٣)».

هذه أربعة عشر حديثاً عن العترة الطاهرة، ولو أردنا أن نذكر ما وقفنا عليه لطلال بنا المقام، غير أن المهم طرح أسئلة حول الخاتمية وتحليلها بإيجاز.

١- الكليني، الكافي ١: ٥٧.

٢- الصدوق، عيون أخبار الرضا ٢: ٨٧.

٣- الصدوق، عيون أخبار الرضا ٢: ٨٧.

## الفصل الثالث أسئلة حول الخاتمية

### إشارة

هناك أسئلة حول الخاتمية تثار بين آونة وأخرى، وهي بين سؤال قرآني فلسفي وفقهي، ونكتفي من الأول بواحد من الأسئلة. \*\*\* السؤال الأول: تنصيص القرآن على أن جميع أهل الشرائع ينالون ثواب الله. إن القرآن الكريم ينص على أن المؤمنين بالله وباليوم الآخر من جميع الشرائع سينالون ثواب الله وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومعنى ذلك أن جميع الشرائع السماوية تُحفظ إلى جانب

ص: ٣٤

الإسلام، وأن أتباعها ناجون شأنهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، وعلى ضوء هذا، فكيف تكون الشريعة الإسلامية واقعة في آخر مسلسل الشرائع السماوية وكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟ وإليك ما يدل على ذلك حسب نظر السائل:

١- قال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة / ٦٢).

٢- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (المائدة / ٦٩).

٣- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (الحج / ١٧).

إن استنتاج بقاء شريعة الشرائع السماوية من هذه الآيات مبني على غض النظر عما تهدف إليه الآيات وذلك أن الآيات بصدد ردّ مزاعم ثلاثة كانت اليهود تتبناها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وهي:



**١- فكرة «الشعب المختار»:**

كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين بل العالم بادعائهم فكرة «الشعب المختار» بل إن كل واحدة من هاتين الطائفتين: اليهود والنصارى، كانت تدعى أنها أرقى أنواع البشر، وكانت اليهود أكثرهم تمسكاً بهذا الزعم وقد نقل عنهم سبحانه قولهم: «وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعدبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ مِمَّنْ خَلَقَ...» (المائدة/ ١٨) والله سبحانه يرد هذا الزعم بكل قوة عندما يقول: «فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ»، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف حدّاً بالغاً وكانهم قد أخذوا على الله عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم، حيث قالوا: «وقالوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً» (البقرة/ ٨٠).

**٢- الانتماء إلى اليهودية والنصرانية مفتاح الجنة:**

قد كانت اليهود والنصارى تبتان وراء فكرة: الشعب المختار، فكرة أخرى، وهي: أن الجنة نصيب كل من ينتسب إلى بنى إسرائيل أو يُسمى مسيحياً ليس إلّا، وكانَّ الأسماء والانتساب مفاتيح للجنة، قال سبحانه ناقلًا عنهم: «وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ

ص: ٣٦

مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى» (البقرة/ ١١١).

ولكن القرآن يرد عليهم ويقول: «تِلْكَ أُمَاتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ\* بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة/ ١١١-١١٢) فإِنْ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ» يَعْنِي الْإِيمَانَ الْخَالِصَ وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ مُحْسِنٌ» يَعْنِي الْعَمَلَ وَفَقَ ذَلِكَ الْإِيمَانَ وَكَلَّمَا الْجَمَلَتَيْنِ تَدَلُّانِ عَلَى أَنَّ السَّبِيلَ الْوَحِيدَ إِلَى النِّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ لَا الْإِنْتِسَابَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةِ، فَلَيْسَتْ هِيَ مَسْأَلَةُ الْأَسْمَاءِ وَإِنَّمَا هِيَ مَسْأَلَةُ إِيمَانِ صَادِقٍ وَعَمَلِ صَالِحٍ.

### ٣- الهداية فى اعتناق اليهودية والنصرانية:

#### إشارة

وهذا الزعم غير الزعم الثانى، ففى الثانى كانوا يقتصرون فى النجاة بالانتماء إلى الأسماء وفى الأخير يتصوّرون أنّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاعتناق باليهودية والنصرانية «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا» (البقرة/ ١٣٥) والقرآن الكريم يردّ هذه الفكرة كما سبق، ويقول انّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاقتداء بملئه إبراهيم واعتناق مذهبه فى التوحيد الخالص الذى أمر الأنبياء بإشاعته بين أممهم، قال سبحانه «قُلْ بَلْ مَلَّهَ إِبْرَاهِيمٌ خَنيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (البقرة/ ١٣٥) وفى آية أخرى «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودياً

ص: ٣٧

ولا نصرانياً ولكنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (آل عمران / ٤٧).

نستخلص من كل هذه الآيات أن اليهود والمسيحيين وبخاصة القدامى منهم كانوا يحاولون- بهذه الأفكار الواهية- التفوق على البشر، والتمرد على تعاليم الله، والتخلص بصورة خاصة من الانضواء تحت لواء الإسلام، مرةً بافتعال كذوبة (الشعب المختار) الذي لا ينبغي أن يخضع لأى تكليف، ومرةً أخرى بافتعال خرافة (الأسماء والانتساب) وادعاء النجاة بسبب ذلك والحصول على مغفرة الله وجنته وثوابه.

ومرةً ثالثةً بتخصيص (الهداية) وحصرها في الانتساب إلى إحدى الطائفتين بينما نجد أنه كلما مرّ القرآن على ذكر هذه المزاعم الخرافية أعلن بكلصراحة وتأکید: أنه لافرق بين إنسان إلّا بتقوى الله فإن أكرمكم عند الله أتقاكم. وأمّا النجاة والجنة فمن نصيب من يؤمن بالله، ويعمل بأوامره دونما نقصان لاغير، وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء.

بهذا البحث حول الآيات الثلاث (المذكورة في مطلع البحث) نكشف بطلان الرأى القائل بأن الإسلام أقر- في هذه الآيات- مبدأ (الوفاق الإسلامى المسيحى واليهودى) تمهيداً لإنكار عالمية

ص: ٣٨

الرسالة الإسلامية وخاتمتها، بينما نجد أنّ غاية ما يتوخاه القرآن- في هذه الآيات- إنما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى وليعلن مكانه بأنّ النجاة إنما هي بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

فلا- استعلاء ولا- تفوّق لطائفة على غيرها من البشر مطلقاً، كما أنّ هذا التشبّث بالفارغ بالأسماء والدعاوى ليس إلّا من نتائج العناد والاستكبار عن الحق.

فليست الأسماء ولا الانتساب هي التي تنجي أحداً في العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح في وجه كل إنسان يهودياً كان أو نصرانياً، مجوسياً أو غيرهم.

ويوضّح المراد من هذه الآية قوله سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» (المائدة/ ٦٥).

فتصرّح الآية بانفتاح هذا الباب بمصراعيه في وجه البشر كافة من غير فرق بين جماعة دون جماعة حتى أنّ أهل الكتاب لو آمنوا بما آمن به المسلمون لقبّلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم.

هذا هو كل ما كان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الآيات، وليس أيّ شيء آخر.

ص: ٣٩

إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشريعته الشرائع بعد ظهوره ... وإنما تدل على أن القرآن يحاول بها إبطال بعض المزاعم.

هذا كله حول السؤال القرآنى، وهناك أسئلة أخرى جديرة بالذكر والتحليل، وإليك بيانها:

\*\*\* السؤال الثانى: لماذا ختمت النبوة التبليغية؟

إن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة الأركان فلا شريعة بعدها، ومع الاعتراف بذلك يطرح هذا السؤال:

إن الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كانصاحب شريعة، ومنهم من كان مبلغاً لشريعة من قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا يبلغون شريعة موسى بين أقوامهم.

هب أنه ختم باب النبوة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوة التبليغية؟

والجواب عنه، غنى الأمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوة، وذلك بوجهين:

الوجه الأول: إن النبى الأكرم ترك بين الأمة الكتاب والعتره وعرفهما إليها، وقال: لن تضل الأمة مادامت متمسكة بهما.

ص: ٤٠

فإذا كانت الهداية تكمن فى التمسك بهما فالأمة الإسلامية فى غنى عن المهمة التبليغية إذ مهمتها موجدة بالتمسك بهما فالعتره الطاهرة مشاعل الحق، ومنارات التوحيد، أغنت الأمة، علومهم وتوجيهاتهم عن بعث نبي يبلغ رسالات الله، وهذا إجمال الكلام فى أئمة أهل البيت عليهم السلام والتفصيل موكول إلى محله.

الوجه الثانى: ان علماء الأمة المأمورين بالتبليغ بعد التفقه أغنوا الأمة عن أى نبوة تبليغية، قال سبحانه «فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» (التوبة/ ١٢٢) وقال سبحانه «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (آل عمران/ ١٠٤).

\*\*\* السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟  
الجواب: ان الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدات الروحية لم توصل بابها وإنما أوصل باب خاص وهو باب النبوة الذى يحمل الوحي التشريعى أو التبليغى.

قال سبحانه: «سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت/ ٥٣).

ص: ٤١

فالفِتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات في الروع غير مسدودة بنص الكتاب العزيز قال سبحانه «يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا يجعل لكم فرقانا» (الأنفال / ٢٩) أى يجعل في قلوبكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل وتميزون به بين الصحيح والزائف لا بالبرهنة والاستلال بل بالشهود والمكاشفة، قال سبحانه «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم» (الحديد / ٢٨).

وهناك آيات وروايات تدل بوضوح على انفتاح هذا الباب في وجه الإنسان، نكتفى بما ذكرناه.

\*\*\* السؤال الرابع: ادعاء النقص في التشريع الإسلامى.

كلما تكاملت جوانب الحضارة وتشابكت، وتعددت ألوانها، واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جديدة وطرح عليه مشاكل طارئة لا عهد للأزمنة السابقة بها، إذن فحاجة المجتمع إلى قوانين وتشريعات جديدة لا تزال تتزايد كل يوم تبعاً لذلك، وما جاء به الرسول لا يجاوز قوانين محدودة، فكيف تفي النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟

الجواب: انّ خلود التشريع وبقاءه في جميع الأجيال ومسايرته

ص: ٤٢

للحضارات الإنسانية، واستغناءه عن كل تشريع سواه، يتوقف على وجود أمرين فيه:  
 الأول: أن يكون التشريع ذا مادة حيوية خلاقه للتفاصيل بحيث يقدر معها علماء الامه والأخصائون منهم، على استنباط كل حكم يحتاج إليه المجتمع البشرى فى كل عصر من الأعصار.  
 الثانى: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعه وانطلاق، مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنه والأجيال، وتساير الحضارات الإنسانية المتعاقبه، وقد أحرز التشريع الإسلامى كلا الأمرين، أما الأول فقد أحرزه بتنفيذ أمور:

### الف- الاعتراف بحجىة العقل فى مجالات خاصة:

إن من سمات التشريع الإسلامى التى يمتاز بها عن سائر التشريعات هى إدخال العقل فى دائرة التشريع والاعتراف بحجىته فى الموارد التى يصلح له التدخل والقضاء فيها، فالعقل أحد الحجج الشرعيه وفى مصاف المصادر الأخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامى سعه وانطلاقاً وشمولاً لما يتجدد من الأحداث ولما يطرأ من الأوضاع الاجتماعيه الجديده.  
 إن الملازمه بين حكمى العقل والشرع (إنه كلما حكم به العقل



ص: ٤٣

حكم به الشرع) ترفع كثيراً من المشاكل التى لم يرد فيها نص، فللعقل دور كبير فى استنباط كثير من الأحداث التى يصلح للعقل القضاء فيها ويقدر على إدراك حكم الشرع من حكم نفس العقل، وذلك فى الموارد التالية:

- ١- القول بالملازمة بين وجوب المقدمة وذيها.
- ٢- القول بالملازمة بين حرمة الشيء ومقدمته.
- ٣- الحكم بالبراءة عند عدم النص.
- ٤- الحكم بالامتثال القطعى عند العلم الإجمالى.
- ٥- الحكم بالملازمة بين الحرمة وفساد العبادة.
- ٦- الحكم بالملازمة بين تعلق النهى بنفس المعاملة وفسادها.
- ٧- الحكم بالاجزاء عند الامتثال وفق الأمر الاضطرارى.
- ٨- الحكم بالاجزاء عند الامتثال وفق الأمر الظاهرى.
- ٩- استكشاف الأمر الشرعى بالأهم عند التزاحم.
- ١٠- استكشاف بطلان الصلاة عند اجتماع الأمر والنهى بتقديمه على الأمر.

إلى غير ذلك من الأحكام التى تعدد من ثمرات القول بالتحسين والتقييح العقليين، فمن عزل العقل عن الحكم فى ذلك المجال، فقد قصرت فكرته عن تقديم أى حل لهذه الأحكام وما ذكرناه نماذج لما للعقل من دور، وإلاً فالأحكام المستنبطة من العقل فى مجالات

ص: ٤٤

مختلفة أكثر من ذلك.

**ب- إن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية:**

إن من أمعن في الكتاب والسنة يقف على أن التشريع الإسلامي تابع لملاكات، فلا واجب إلا المصلحة في فعله ولا حرام إلا لمفسدة في اقتراه ويشهد بذلك كتاب الله في موارد:

يقول سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» (المائدة/ ٩١) فالآية تعلل حرمة الخيئين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدتهما عن ذكر الله، يقول سبحانه: «... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...» (العنكبوت/ ٤٥).

إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بملاكات الأحكام.

وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على أن الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر على بن موسى الرضا عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَبْحَثْ أَكْلًا وَلَا شَرْبًا إِلَّا لِمَا فِيهِ الْمَنْفَعَةُ وَالصَّلَاحُ، وَلَمْ يَحْزَمْ إِلَّا لِمَا فِيهِ الضَّرَرُ وَالتَّلَفُ وَالْفَسَادُ» (١).

ص: ٤٥

وقال عليه السلام في الدم: «إنه يسىء الخلق ويورث القسوة للقلب وقله الرأفة والرحمة ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده» (١). وهذا باقر العلوم وإمامها عليه السلام يقول: «إن مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه الارتعاش، ويهدم مروته ويحمله إلى التجسير على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا» (٢).

وغيرها من النصوص المتضافرة عن أئمة الدين (٣).

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد في الموضوع، فالغاية المتوخاه من تشريعها إنما هي الوصول إليها، أو التحرز عنها، وبما أن المصالح والمفاسد ليست على وزن واحد، بل رُبَّ واجب يسوغ في طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلاً، ورُبَّ حرام ذي مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات.

ولأجل ذلك فقد عقد الفقهاء باباً خاصاً لتزاحم الأحكام وتصادمها في بعض الموارد، فيقدمون الأهم على المهم والأكثر

١- المجلسي، بحار الأنوار ٦٢: ١٦٥، الحديث ٣.

٢- المجلسي، بحار الأنوار ٦٢: ١٦٤، الحديث ٢.

٣- راجع علل الشرائع للشيخ الصدوق فقد أورد فيه ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في بيان علل التشريع.

ص: ٤٦

مصلحة على الأقل منها، والأعظم مفسدة على الأحقر منها، وهكذا ... ويتوصلون في تمييز الأهم عن المهم، بالطرق والامارات التي تورث الاطمئنان، وباب التراحم في علم الأصول غير التعارض فيه، ولكل أحكام.

وقد أعان فتح هذا الباب على حل كثير من المشاكل الاجتماعية التي ربما يتوهم الجاهل أنها تعرقل خطى المسلمين في معترك الحياة، وأنها من المعضلات التي لا تنحل أبداً، ولنأت على ذلك بمثال وهو:

إنه قد أصبح تشريح بدن الإنسان في المختبرات من الضروريات الحيوية التي يتوقف عليه نظام الطب الحديث، فلا يتسنى تعلم الطب إلا بالتشريح والاطلاع على خفايا الأمراض والأدوية.

غير أن هذه المصلحة، تصادمها مسألة احترام الإنسان حيّه وميّه، إلى حدّ أوجب الشارع الإسراع في تغسيله وتكفينه وتجهيزه للدفن، ولا يجوز نبش قبره إذا دفن، ولا يجوز التمثيل به وتقطيع أعضائه، بل هو من المحرّمات الكبيرة التي لم يجوزها الشارع حتى بالنسبة إلى الكلب العقور، غير أن عناية الشارع بالصحة العامة وتقدم العلوم جعلته يسوّغ اقتراف هذا العمل لتلك الغاية، مقدماً بدن الكافر على المسلم والمسلم غير المعروف على المعروف منه، وهكذا ...

## ج- التشريع الإسلامي ذو مادة حيوية:

إن التشريع الإسلامي في مختلف الأبواب مشتمل على أصول وقواعد عامة تفي باستنباط آلاف من الفروع التي يحتاج إليها المجتمع البشرى على امتداد القرون والأجيال.

أخرج الكليني عن عمر بن قيس عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكلّ شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه وجعل على من تعدى ذلك الحدّ حداً.

روى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة [\(١\)](#).

وقال الإمام الطاهر موسى الكاظم عليه السلام عندما سأله عن وجود كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه قال مجيباً: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه [\(٢\)](#).

نعم تتجلى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنة رسول الله المرويّة عن طريق أئمة أهل البيت، فقد حفظوا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كانت كتابة الحديث أمراً معرضاً عنه ولذلك صارت أدلة الفقه الإسلامي متوسعة كافلة لاستنباط الأحكام وبذلك أغنوا

١- الكليني ١ / ٥٩ - ٦٢ باب الردّ الى الكتاب والسنة.

٢- الكليني ١ / ٥٩ - ٦٢ باب الردّ الى الكتاب والسنة.

ص: ٤٨

الأمّة الإسلاميّة عن مقاييس ظنيّة كالقياس والاستقراء وما لا دليل عليه من الكتاب والسنة على وجه القطع واليقين. إنّ الاكتفاء بما ورد عن النبي عن طريق الصحابة وعدم الرجوع إلى ما رواه أئمة أهل البيت عن جدّهم متسلسلاً كابر عن كابر لخسارة عظيمة، فعلى المشغوف بتجديد حياة الإسلام وإغنائه عن أيّ تشريع غربيّ وشرقيّ وتجسيد الخاتمية في مجال التشريع أن يجتاز الحدود التي ضربها الأمويون ومن لفّ لفهم بين الناس وأئمة أهل البيت عليهم السلام فعند ذلك ستنتفتح آفاق من حديث الرسول مما يحترق اللبّ به، ويثير الحسرة لما فات الأمّة من التّوّر بنورهم في القرون الماضية.

#### د- تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه:

ومما أضفى على التشريع الإسلاميّ خلوداً وعضاضة وشمولية وإغناءً عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيما تحتاج إليه الأمّة في حياتها الفردية والاجتماعية، ومن أفضله في الأدوار السابقة قطع الأمّة الإسلاميّة عن مواكبة التطور والحضارة ومن ثمّ جعل التشريع الإسلاميّ ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الأمّة، وأما لزوم فتحه فهو أنّ الأمّة الإسلاميّة في زمن تتوالى فيه الاختراعات والصناعات، وتتجدّد الأحداث التي لم يكن لها مثل

ص: ٤٩

في عصر النبي ولا بعده، فهم أمام أحد أمور:

١- إما بذل الوسع في استنباط أحكام الموضوعات الحديثه من الأصول والقواعد الإسلامية.

٢- أو اتباع المبادئ الغربية من غير نظر إلى مقاصد الشريعة.

٣- والوقوف من غير إعطاء حكم.

ومن المعلوم بطلان الثاني والثالث فيتعين الأول.

نعم لم يزل هذا الباب مفتوحاً عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماش وأغنوا الأمة الإسلامية عن التطلع إلى موائد الغربيين.

وبما أن الاجتهاد الحر والخروج عن قيد المذاهب صار واضح اللزوم تقتصر على هذا المقدار.

#### هـ- حقوق الحاكم الإسلامي أو ولاية الفقيه:

من الأسباب الباعثة على بقاء الدين وكونه مادة حيوية صالحة لحلّ المشاكل والمعضلات الطارئة، كون الحاكم الإسلامي بعد النبي والأئمة ممثلاً لقيادتهم الحكيمه في أمور الدين والدنيا، التي من شأنها أن توجه المجتمع البشري إلى أرقى المستويات الحضارية، فقد فتحت لمثل هذا الحاكم الصلاحيات المؤدية إلى

ص: ٥٠

حقّ التصرف في كلّ ما يراه ذا مصلحة للأمة في إطار القوانين العامة، لأنّه يتمتع بمثل ما يتمتع به النبيّ والإمام من النفوذ المطلق، إلّا ما كان من خصائص النبيّ والأئمّة. فبما أنّ المحققين أسهبوا الكلام في معنى ولاية الفقيه اقتصرنا على هذا المقدار.

### مرونة التشريع الإسلامي:

#### إشارة

لقد سبق الحديث عن أنّ استغناء التشريع الإسلامي عن كل تشريع سواه رهن أمرين:  
الأول: إنّّه ذو مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر على الإجابة ببيان حكم جميع الأحداث التالية والطارئة.  
الثاني: النظر إلى الكون والمجتمع بسعه وانطلاق مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال وقد مرّ الكلام في الأمر الأول وإليك الكلام حول الأمر الثاني.  
إنّ الذي فتح للتشريع الإسلامي خلوداً وغناءً عن سائر التشريعات هو مرونة أحكامه التي تماشى جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بأمور:



ص: ٥١

**الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادة والروح:**

إذا غالت المسيحية في التوجه إلى الناحية الروحية، فدعت إلى الرهبانية والتعزّب، أو غالت اليهودية في الدعوة إلى ملاذ الحياة والانكباب على المادة حتى نسيت كلّ قيمة روحية، فالإسلام دعا إلى المادية والمعنوية على وجه يطابق الفطرة الإنسانية وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام وشرع للإنسان ما يسعده في الدنيا والآخرة على ما هو مذكور بالتفصيل في محله.

**الثاني: النظر إلى المعاني لا إلى الظواهر:**

الإسلام ينظر إلى المعاني والحقائق لا الظاهر والقشور فيأمر بالأخذ باللبّ لا بالقشر وهذا هو السرّ في خاتمية الدين الإسلامي وتمشيّه مع تطوّر الحياة، ولا يتوهم من ذلك جواز التدخّل في التشريع بحجّة الأخذ باللبّ دون القشر، فإنّ الكبريات الواردة في الكتاب والسنة كلّها لبّ وأما القشر فإنّما يرجع إلى التخطيط والتجسيد. وسيوافيك عند الإجابة على السؤال الخامس من أنّ الإسلام دعا الإنسان إلى الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ وأما الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى

ص: ٥٢

مقتضيات العصور.

إنّ الذي يهتمّ به التشريع كون البيت مُقاماً على أرض غير مغصوبة ومن مال حلال بحيث يتمكن المسلم من إقامة فرائضه عليها وحفظ كيانه، وقد أناط شكل البيت وهندسته إلى مقتضيات الظروف والمصالح وكذا الملابس ووسائل التعليم ابتداءً من الحفر على الصخر والجدران والكتابة على الجلود والقراطيس، إلى ابتكار وسائل إلكترونية متطورة لإنجاز الغرض، فمن أراد الحفاظ على الصور، فقد عرقل الأمة الإسلامية عن التقدم وأثار مشاكل في تطبيق الشريعة في الأزمنة الحاضرة.

### الثالث: الأحكام التي لها دور التمديد:

من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية تشريعه القوانين الخاصة التي لها دور التمديد والرقابة بالنسبة إلى عامة تشريعاته وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلة الحاكمة، لأجل حكومتها وتقدمها على كل حكم ثبت لموضوع بما هو هو فهذه القوانين الحاكمة، تعطى لهذا الدين مرونة يماشى لئها كل حضارة إنسانية، مثلاً: قوله سبحانه: «وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ...» (الحج / ٧٨) حاكم على كل تشريع استلزم العمل به حرجاً، لا يتحمل عادةً للمكلف فهو مرفوع، في

ص: ٥٣

الظروف الحرجة، ومثله قول له صلى الله عليه وآله «لا ضرر ولا ضرار» فكل حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً، فهو مرفوع في تلك الشرائط، وقس عليهما غيرهما من القوانين الحاكمة.

نعم تشخيص الحاكم عن المحكوم، وما يرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط، يحتاج إلى الدقة والإمعان والتفقه والاجتهاد، ومن رأينا أن الموضوع يحتاج إلى التبسط أكثر من هذا، فإلى مجال آخر أيها القارئ الكريم.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطورة.

إن مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً، ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أن المجتمع الإنساني لم يزل في تطوّر وتغيّر، فعند ذلك يُطرح السؤال التالي:

كيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلبات المجتمع المتغيّر، لأنّ من لوازم التغيّر والتطوّر، تغيّر ما تسود عليه من قوانين وتشريعات؟ هذا هو السؤال الذي يُطرح بين آونه وأخرى، والإجابة عنه تتوقف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيّرها، وأنّ للثابت من جانب حياته تشريعاً ثابتاً، وللجانب المتغيّر منها

ص: ٥٤

تشريعاً متغيراً فالتشريع الثابت لما هو الثابت والمتغير لما هو المتغير، وإليك البيان:

### الجانب الثابت من حياة الإنسان:

- ١- إنَّ للحياة الإنسانية جانبين: متغير وثابت، فالثابت منها عبارة عن الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التي لا تتغير ولا تتبدل مادام الإنسان إنساناً ولا يتسرب التغير إليها. فالإنسان الاجتماعي بما هو موجود ذو غرائز يحتاج لحفظ حياته وبقاء نفسه إلى العيش الاجتماعي والحياة العائلية، وهذان الأمران من أسس حياة الإنسان لا تفتأ تقوم عليهما حياته منذ وجوده إلى يومنا هذا. فإذا كان التشريع الموضوع منسجماً ومتطلبات الغرائز ومعدلاً إياها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال فذلك التشريع يكون خالداً في ظلّ خلود الغرائز.
- ٢- إنَّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا- ينكر فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً ورغم كل الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف فلكل من الرجل والمرأة متطلب وفق تركيبه، فلو كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة، يكون

ص: ٥٥

خالدًا حسب خلود الفكرة والتركيب.

٣- الروابط العائلية كعلاقة الأب بولده وبالعكس، علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التوارث ولزوم التكريم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان.

إن السؤال مبنى على أن الإنسان بفطرته وتركيبه يقع في مهب التغيير، والتطور، فلا يبقى منه شيء عبر القرون، فكأن الإنسان الحالى غير الإنسان الغابر، مع أنها فكرة باطلة، فلو كان هناك تغيير فإنما يعود هذا إلى غير الجانب الثابت من حياته.

٤- إن في حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا- يتسرب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً، وجزاء الإحسان بالإحسان حسناً وبالسيئ قبيحاً، والعمل بالميثاق حسناً ونقضه قبيحاً، إلى غيرها من القضايا الأخلاقية الثابتة في حياة الإنسان. سواء أقلنا بأنها أحكام فطرية نابعة من الخلق أو قلنا أن هناك عوامل عبر التاريخ رسخت هذه المفاهيم في ذهن الإنسان، فإن الاختلاف في جذور تلك المثل لا يضر بما نحن بصدده لأنها على كل تقدير ثابتة في حياة الإنسان، والتشريع الموضوع وفقها يتمتع بالثبات.

إن هناك موضوعات في الحياة الإنسانية لم تزل ذات مصالح

ص: ٥٦

ومفاسد أبدية، فما دام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل عقله والميسر يثبت العداوة في المجتمع، والإباحة الجنسية تفسد النسل والحرث مدى الدهور والأجيال، فيما أن هذه القضايا قضايا ثابتة في حياته، فالتشريع على وفقها يكون ثابتاً وفق ثباتها. فهذه نماذج من الجانب الثابت من حياة الإنسان تناولناها لإيقاف القارئ على أن التغير في حياة الإنسان ليس أمراً كلياً ولا يتسرب إلى أعماق حياته، وإنما التغير يرجع إليصور من حياته فالتغير - كما سيوافيك بيانه - إنما يكون مثلاً: في المواصلات، وفي التكتيك الحربي، وفي طراز البناء وأشكاله وفي معالجة الأمراض وغيرها، فأين مثل هذا التغير من حرمة الظلم، ووجوب العدل، ولزوم أداء الأمانات، ودفع الغرامات، ولزوم الوفاء بالعهد والأيمان، وتكريم ذوى الحقوق إلى غير ذلك من القوانين الثابتة الموضوعه على غرار الفطرة مبنياً على الجانب الثابت من حياته فهو يحتل مكان التشريع الدائم.

### الجانب المتغير في الحياة الإنسانية:

#### إشارة

إنّ للإنسان جانباً آخر في حياته لا يزال يتغير من حال إلى حال فمثل هذا يتطلب تشريعات متغيرة حسب تغيره وتبدله، ومن حسن الحظ أنه ليس في الإسلام الخاتم تشريعاً ثابتاً لهذا

ص: ٥٧

الجانِب من الحياء مظاهر حياته وقشورها لا جوهرها ولذلك لم يتدخل فيه الإسلام تدخلاً مباشراً، بل ترك أمرها للمجتمع الإسلامي في ظل إطار خاص. وسوّغ للمجتمع البشري إدارة شؤون حياته في مجال العمران والبناء وتطور وسائل الحياء المختلفة في مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد في ظل إطار عام الذي يتجاوب مع التغيير والتطور.

فترك للإنسان مجالاً متحرّكاً يختار به أى نوع من الألبسة والبناء والمعدات والوسائل المختلفة ضمن شروط معلومه في الفقه الإسلامي، ولأجل هذه المرونة في الإنسان نرى أنه يتجاوب مع جميع الحضارات الإنسانية وما هذا إلا لأنه لم يتدخل في الجزئيات المتغيرة إلبوضع إطار خاص لا يمنع حرّيته ولا يزاحم التغيير، وهناك كلمة قيمة للشيخ الرئيس ابن سينا نذكرها، قال:

يجب أن يفوّض كثير من الأحوال خصوصاً في المعاملات إلى الاجتهاد فإنّ للأوقات أحكاماً لا يمكن أن تنضبط، وأما ضبط المدينة بعد ذلك بمعرفة ترتيب الحفظه ومعرفة الدخل والخرج وإعداد أهب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فينبغي أن يكون ذلك إلى السائس من حيث هو خليفة ولا تفرض فيها أحكام جزئية، فإنّ في فرضها فساداً لأنها تتغير مع تغيير الأوقات، وفرض الكليات فيها مع تمام الاحتراز غير ممكن فيجب أن يجعل

ص: ٥٨

ذلك إلى أهل المشورة «(١)».

نعم إنَّ عنوان مقتضى الزمان صار رمزاً لكلِّ من أراد أن يتحرَّر من القيم الأخلاقية، ويعيش متحللاً من كلِّ قيد وحد، خالِعاً كلَّ عذار. وهؤلاء حيثما رأوا الإباحة الجنسيَّة، واختلاط الرجال والنساء، واتَّخذ الملاحى على أنواعها وشرب المسكر، واللعب بالميسر، واقتراف المعاصى وأخذ الربا وغير ذلك ممَّا حرَّمته الشريعة الإسلامية، لم يجدوا مبرراً لاقترافها إلَّا بالتمسك بمقتضيات الزمان وجبر التاريخ. وهذا أبرز دليل على ان التمسك به، غطاء للتحرر من القيود الشرعية والأخلاقية وإلَّا فلو كان المقصود من تطبيق الحياة على مقتضيات الزمان، هو ترفيع الثقافة الإنسانية والاستفادة من أحدث الأجهزة فى عامة المجالات فهذا ممَّا لا يرفضه الإسلام وليس له فيه قانون يعرقل خطى الترقى، وحدوده بإطار عام، وهو عبارة ان لا يزاحم سعادة الإنسان وأن لا يكون فيه ضرر على روحه وجسمه، والقيم التى بها يمتاز عن الحيوان.

وها نحن نأتى فى المقام بنماذج من الأحكام المتغيرة بتغير

١- الشفاء، قسم الإلهيات: ٥٦٦.



ص: ٥٩

الظروف وراء ماذكرناه في مجال الصناعة والمسكن والملبس بشرط أن لا يزاحم المثل والقيم.

### ١- في مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية:

يجب على الدولة الإسلامية أن تراعى مصالح الإسلام والمسلمين، فهذا أصل ثابت وقاعدة عامة، وأما كيفية تلك الرعاية، فتختلف باختلاف الظروف الزمانية والمكانية، فتارة تقتضى المصلحة السلام، والمهادنة والصلح مع العدو، وأخرى تقتضى ضد ذلك. وهكذا تختلف المقررات والأحكام الخاصة في هذا المجال، باختلاف الظروف ولكنها لا تخرج عن نطاق القانون العام الذي هو رعاية مصالح المسلمين، كقوله سبحانه:

«وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (النساء / ١٤١).

وقوله سبحانه: «لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (المتحنه / ٨-٩).

ص: ٦٠

**٢- في العلاقات الدولية التجارية:**

قد تقتضى المصلحة عقد اتفاقيات اقتصادية وإنشاء شركات تجارية، أو مؤسسات صناعية، مشتركة بين المسلمين وغيرهم، وقد تقتضى المصلحة غير ذلك. ومن هذا الباب حكم الإمام المغفور له، المجدد، السيد الشيرازي بتحريم التدخين ليمنع من تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية التي عقدت في زمانه بين إيران وإنكلترا، إذ كانت مُجِِّهَةً بحقوق الأمة المسلمة الإيرانية لأنها حوّلت لإنكلترا حق احتكار التبناك الإيراني.

**٣- في مجال الدفاع عن حريم الإسلام:****إشارة**

الدفاع عن بيضة الإسلام وحفظ استقلاله وصيانة حدوده من الأعداء، قانون ثابت لا يتغير، فالمقصد الأسنى لمشرع الإسلام، إنما هو صيانة سيادته عن خطر أعدائه وأضرارهم، ولأجل ذلك أوجب عليهم تحصيل قوة ضاربة ضد الأعداء، وإعداد جيش عارم جزّار تجاه الأعداء كما يقول سبحانه: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (الأنفال / ٦٠) فهذا هو الأصل الثابت في الإسلام الذي يؤيده العقل والفطرة أما كيفية الدفاع وتكتيكة ونوع السلاح، أو لزوم الخدمة العسكرية وعدمه، فكلها موكولة إلى مقتضيات الزمان، تتغير بتغيره، ولكن في إطار القوانين العامة

ص: ٦١

فليس هناك فى الإسلام أصل ثابت، حتى مسألة لزوم التجنيد العمومى، الذى أصبح من الأمور الأصلية فى غالب البلاد. وما نرى فى الكتب الفقهية من تبويب باب، أو وضع كتاب خاص، لأحكام السبق والرمية، وغيرها من أنواع الفروسيه التى كانت متعارفة فى الأزمنة الغابرة ونقل أحاديث فى ذلك الباب عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الإسلام، فليست أحكامها أصلية ثابتة فى الإسلام، دعا إليها الشارع بصورة أساسية ثابتة، بل كانت هى نوع تطبيق لذلك الحكم، والغرض منه تحصيل القوة الكافية، تجاة العدو فى تلكم العصور وأما الأحكام التى ينبغى أن تطبق فى العصر الحاضر فإنه تفرضها مقتضيات العصر نفسه. فعلى الحاكم الإسلامى تقوية جيشه وقواته المسلحة بالطرق التى يقدر معها على صيانة الإسلام ومعتقيه عن الخطر ويصد كل مؤامرة عليه من جانب الأعداء حسب إمكانيات الوقت.

والمقنن الذى يتوخى ثبات قانونه ودوامه وسيادة نظامه الذى جاء به، لا يجب عليه التعرض إلى تفاصيل الأمور وجزئياتها، بل الذى يجب عليه هو وضع الكليات والأصول ليساير قانونه جميع الأزمنة وأشكالها وصورها المختلفة، ولو سلك غير هذا السبيل لصار حظه من البقاء قليلاً جداً.

ص: ٦٢

٤

**- فى نشر العلم والمعارف والثقافة:**

نشر العلم والثقافة، واستكمال المعارف التى تضمنُ سيادةَ المجتمع مادياً ومعنوياً، يعتبر من الفرائض الإسلامية، أمّا تحقيق ذلك وتعيين نوعه ونوع وسائله فلا- يتحدّد بحد خاص، بل يوكل إلى نظر الحاكم الإسلامى، واللجان المقررة لذلك من جانبه حسب الإمكانيات الراهنة فى ضوء القوانين الثابتة.

وبالجملة: فقد ألزم الإسلام، رُعاة المسلمين، وولاء الأمر نشر العلم بين أبناء الإنسان واجتثاث مادة الجهل من بينهم ومكافحة أى لَوْن من الأمية، وأمّا نوع العلم وخصوصياته، فكل ذلك موكل إلى نظر الحاكم الإسلامى وهو أعلم بحوائج عصره. فربّ، علم لم يكن لازماً، لعدم الحاجة إليه، فى العصور السابقة، ولكنه أصبح اليوم فى الرعيل الأوّل من العلوم اللازمة التى فيهاصلاح المجتمع كالاقتصاد والسياسة.

٥

**- فى مجال إقامة النظام:**

حفظ النظام وتأمين السبل والطرق، وتنظيم الأمور الداخلية ورفع مستوى الاقتصاد و... من الضرورات، فيتبع فيه وأمثاله مقتضيات الظروف وليس فيه للإسلام حكم خاص يتبع، بل

ص: ٦٣

الذى يتوخاه الإسلام هو الوصول إلى هذه الغايات، وتحقيقها بالوسائل الممكنة، دون تحديد وتعيين لنوع هذه الوسائل وإنما ذلك متروك إلى إمكانيات الزمان الذى يعيش فيه البشر، وكلها فى ضوء القوانين العامة.

٦

### - فى مجال المبادلات المالية:

قد جاء الإسلام بأصل ثابت فى مجال الأموال وهو قوله سبحانه: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» (البقرة/ ١٨٨) وقد فرع الفقهاء على هذا الأصل شرطاً فيصح عقد البيع أو المعاملة فقالوا: يشترط فيصححة المعاملة وجود فائدة مشروعة وإلا فلا تصح المعاملة ومن هنا حرّموا بيع (الدم) وشراءه.

إلا أنّ تحريم بيع الدم أو شراءه ليس حكماً ثابتاً فى الإسلام بل الحكم الثابت هو حرمة أكل المال بالباطل، وكانت حرمة الدم فى الزمان السابق بصورة إجرائية لما أفادته الآيه من حرمة أكل المال بالباطل ومصادقاً لها فى ذلك الزمان فالحكم يدور مدار وجود الفائدة (التي تخرج المعاملة عن أن تكون أكل المال بالباطل) وعدم تحقق الفائدة، فلو ترتبت فائدة معقولة على بيع الدم أو شرائه فسوف يتبدل حكم الحرمة إلى الحلّية، والحكم الثابت هنا هو قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ».

ص: ٦٤

وفى هذا المضمار ورد أنّ علياً عليه السلام سئل عن قول الرسول صلى الله عليه وآله: «غثروا الشيب ولا تشبهوا باليهود؟ فقال: عليه السلام: «إنما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدين قلّ، فأما الآن فقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فالمرء وما اختار» (١)».

١- نهج البلاغة، الحكمة رقم: ١٦.

ص: ٦٥

## خاتمة المطاف الشيعية والخاتمية

### إشارة

اتفقت الشيعة- قاطبة- تبعاً للكتاب والسنة على أن نبي الإسلام، هو النبي الخاتم، وكتابه خاتم الكتب، ورسالته خاتمة الرسالات، وقد اوصى به برحيله باب الوحي، وأُقفل بموته باب التشريع، فلا وحي ولا تشريع بعد ذهابه وقد وقفت على كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عند تغسيل النبي صلى الله عليه وآله وتجهيزه فلا نعيد [\(١\)](#).  
غير أن هناك شبهات ضئيلة في المقام تطرح من جانب أناس،

---

١- لاحظ الحديث ٤ في فصل الخاتمية في أحاديث العترة الطاهرة.

ص: ٦٦

لا عرفان لهم بمذهب الشيعة ولا تعرّف لهم عليه من كتب وقد تلقّوها من المستشرقين أو من البعداء عن البيئات الشيعية. وهذه الأسئلة تجمعها الأمور التالية.

- ١- كيف تقولون بالخاتمية وإيصاد باب الوحي والتشريع وأنتم تعملون بكتاب عليّ عليه السلام؟
  - ٢- كيف تقولون بذلك، وعندكم مصحف، باسم مصحف فاطمة وهل كان عند بنت المصطفى صلى الله عليه وآله قرآن غير القرآن الحاضر عند المسلمين؟
  - ٣- كيف تقولون ذلك وأنتم تعتمدون على روايات مروية عن الأئمة الاثني عشر، بصورة موقوفة غير متصلة إلى النبي الأكرم وهل الأئمة الاثنا عشر ممّن يوحى إليهم؟
- إنّ هذه الأسئلة ربما تنطلي على الجاهل غير العارف بمعتقدات الشيعة فيرميهم بما هم براء منه، ولأجل رفع الغطاء نأخذ كلّ واحد بالدراسة بوجه موجز.

### ١- كتاب عليّ وإملاء رسول الله:

إنّ السؤال الأوّل يرجع إلى كتاب عليّ وأنه ما هو. وهل هو أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي دوّنها الإمام دون غيره وإليك



ص: ٦٧

التفصيل:

كانت لمدرسة أئمة اهل البيت عناية خاصة لضبط وتدوين كل ما اثر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من قول وفعل، لأنه صلى الله عليه وآله لا يصدر في مجال التشريع والتعليم إلّا عن الوحي قال سبحانه: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم / ٣-٤) وكان صلى الله عليه وآله على علم قاطع بأنه سوف ينتقل إلى رحمة الله، وأن الأمة الإسلامية سوف تحتاج إلى كلماته وأقواله، وأفعاله وأعماله ولا تبقى خالدة إلّا بالضبط والتدوين.

إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان وليد البيت النبويّ وكان مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول الله عن الدنيا وهو عليه السلام يصف حياته فيصباها وما بعده ويقول: «ولقد كنت أتبعه (يعني رسول الله) أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بجراً فأراه ولا يراه غيري. ولم يجتمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، والرسالة وأشم ريح النبوة» (١).

كان ربيبه علي عليه السلام يلازمه ليلاً ونهاراً، سافراً وحضراً، في

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

ص: ٦٨

موطنه ومهجره، لم يفارقه في غزوة إلماغزوة تبوك وقد أقامه رسول الله مقامه في المدينة ليكون عيناً للمسلمين، على المنافقين، وصاعقه على المتمردين إذا حاولوا المؤامرة، أو إيذاء من بقى من المسلمين من الشيوخ والأطفال، إلى أن دخل العام الحادى عشر للهجرة وقد قرب أجله وارتحاله ومرض وكان على هو الممرض له وقبض ورأسه لعلصدره.

إنّ علياً عليه السلام يشرح ذلك الموقف ويقول: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لعلصدرى - إلى أن يقول - ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى، فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرج وما فارقت سمعى (هينمة) (١)» منهم، يصلون عليه. حتى واريانه في ضريحه. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مَنِي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ (٢)».

كل ذلك يعرف عن لواء الإمام واحتصانه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتجائه إليه.

وقد اختص الإمام بهذا المقام من بين الصحابة ولم يشاركه غيره وبذلك صار باب علم النبي (٣) والحاكم الروحى على الأطلاق حتى عصر الخلفاء ولا يشك في ذلك من فتح عينيه على

١- الصوت الخفى.

٢- الشريف الرضى، نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

٣- المتقى الهندى، كنز العمال ٦: ١٥٦ وص ٤٠١.

ص: ٦٩

سيرة الخلفاء وتاريخ المسلمين .

ولمثل هذا النوع من التلاحم

يصف علي عليه السلام حاله مع النبي ويقول: «إني إذا كنت سألته أنبأني، وإذا سكّئتُ ابتدأني» (١).

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر علياً عليه السلام أن يكتب كل ما يملى عليه فقال عليه السلام مرّة لرسول الله:

«يا نبيّ الله أتخاف عليّ النسيان؟ قال: لستُ أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك ولا ينسيك ولكن اكتب لشركائك

قال قلت: ومن شركائي يا نبيّ الله؟ قال: الأئمة من ولدك» (٢).

وكان من جملة ما أملاه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب علي عليه السلام بخطه، كتاب طولها سبعون ذراعاً في عرض

الأديم وهذا هو المعروف بكتاب عليّ أوصحيفته اشتهر أمره بين الشيعة وأئمتهم وفيها ما يحتاج إليه الناس في مجال الأحكام إلى يوم

القيامة، وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروون عنه، ويستشهدون في مواقع خاصة به، وليس كتابه سوى أحاديث أملاه النبي،

وكتبه

١- السيوطي، تاريخ الخلفاء: ١١٥.

٢- الصدوق، كمال الدين ١: ٢٠٦، وأماليه: ٢٢٧، وغيرهما.

ص: ٧٠

الوصي وورثه أبناءه كابر عن كابر، ونقلوا عنه شيئاً كثيراً وبذلك صار الإمام هو المدوّن الرسمي للحديث النبوي، وإن كان بعض الصحابة «(١)» شاركه في ضبط الحديث النبوي، لكن صحائفهم وكتبهم أُحرقت - ويا للأسف - في عصر الخلفاء لمصالحهم أعرف بها، وبذلك خسر المسلمون والسنة النبوية خسارة كبرى لاتستقال وبالتالى صار الحديث النبوي مرتعاً لوضع الوضعيين والكذابين يلصقون بها ما شاءوا من الاسرائليات والمسيحيات والمجوسيات، لكن بقي كتاب الإمام غصّاً طرياً مصنوعاً من الشرّ، يرثه إمام بعد إمام. ولأجل إيقاف القارئ بواقع الأمر، نذكر مواصفات الكتاب وميزاته، وشيئاً من نصوصه، حتى يتبين إن كتاب عليّ عليه السلام لم يكن إلّا جامعاً حديثياً وكان تدويناً مبكراً للسنة النبوية المطهرة وكتابه هذا هو سمة إكمال الدين الذي هو العماد لمسألة الخاتمية.

أ- روى: بكر بن كرب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام، صحيفة

١- الترمذى، السنن ٥: ٣٩، كتاب العلم، الدارمي، السنن ١: ١٢٥، باب من رخص في كتابة العلم، الامام أحمد، المسند ٢: ٢١٥، وغيره.

ص: ٧١

فيها كل حلال وحرام «(١)».

ب- روى فضيل بن يسار قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: يا فضيل! عندنا كتاب على سبعون ذراعاً، ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلّا وهو فيه حتى أرش الخدش «(٢)».

ج- روى أبو بصير- فى حديث- عن أبى عبد الله عليه السلام قال: يا أبا محمد! وإنّ عندنا الجامعة وما يُدرّهم ما الجامعة قال قلت: جعلتُ فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه، وخط على عليه السلام يمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرض فى الخدش «(٣)».

د- روى أيضاً عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول- وذكر ابن شبرمة فى فتياه- فقال: أين هو من الجامعة: إملاء رسول الله وخطه على يده، فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش فيه «(٤)».

إلى غير ذلك من الروايات الحاكية لخصوصيات الكتاب

١- الكليني، الكافي ١: ٢٤١، والصفار، بصائر الدرجات: ١٤٢.

٢- الصفار، بصائر الدرجات: ١٤٧.

٣- الكليني، الكافي ١: ٢٣٩، والصفار، بصائر الدرجات: ١٤٣.

٤- المتقى الهندي، كنز العمال ١٠: ٢٩٣، رقم ٢٩٤.

ص: ٧٢

وميزاته التي رواه أصحاب المعاجم من محدّثي الشيعة، فتسمية أئمة أهل البيت تارة بكتاب عليّ وأخرى بالجامعة وثالثة بصحيفة عليّ والكتاب يعرب عن عناية الإمام بضبطاً حديث الرسول صلى الله عليه وآله، كما يعرب عن عناية سيد الثقلين، بكتابة حديثه، ليبقى مَرّ العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والدسّ.

وفي العصر الذي كان الناس يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

لا- تكتبوا عنيّ ومن كتب عنيّ غير القرآن فليمحّه «(١)» وأنّ فريقاً من الصحابة استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله أن يكتبوا عنه فلم يأذنهم «(٢)».

وفي العصر الذي كانت مدرسة الخلفاء تروّج تقليل الرواية عن الرسول، وكلّما يبعث الخليفة عمر بن الخطاب والياً إلى قطر أو بلد يوصيه في جملة ما يوصيه بقوله: «جردوا القرآن واقلّوا الرواية عن محمد وأنا شريككم» «(٣)» وربما يعيب افشاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ويقول مخاطباً لأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء «وما هذا الحديث الذي تفشون عن محمد» «(٤)».

ففي تلك العصور الحرجة، نرى أئمة أهل البيت يحتفظون

١- الدارمي، السنن ١: ١١٩، والامام احمد ٣: ١٢.

٢- الدارمي، السنن ١: ١١٩، والامام احمد ٣: ١٢.

٣- الطبري، التاريخ ٣: ٢٧٣ طبعه الاعلمى بالافست.

٤- المتقى الهندي، كنز العمال ١٠: ٢٩٣، رقم ٢٩٤.

ص: ٧٣

بكتاب عليّ، ويعتمدون عليه في نقل الحلال والحرام، وبه يردون ما كان يصدر من الفتيا الشاذة عن الكتاب والسنة ولا يقيمون للمنع عن الكتابة والرواية وزناً ولا قيمة، ولنذكر نماذج من روايات كتاب عليّ ليعلم موقفه منصيانته السنة من الضياع.

١- روى أبو بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر عليه السلام فإذا فيها المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره قال: فله المال كله «(١)».

٢- روى أبو بصير المرادي قال: سألت أبا عبد الله عن شيء من الفرائض، فقال: ألا اخرج لك كتاب عليّ عليه السلام - إلى أن قال: - فأخرجه فإذا كتاب جليل وإذا فيه: رجل مات وترك عمه وخاله فقال: للعم الثلثان وللخال الثلث «(٢)».

٣- روى عبد الملك بن أعين قال: دعا أبو جعفر بكتاب عليّ فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطويّاً فإذا فيه: إن النساء ليس لهنّ من عقال الرجل - إذا هو توفّي عنها - شيء فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا والله خطّ عليّ بيده وإملاء رسول الله «(٣)».

١- الصفار، بصائر الدرجات: ١٤٥.

٢- الكليني، الكافي ٧: ١١٩.

٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٧: ٥٢٢، الباب ٦ من أبواب ميراث الأزواج، الحديث ١٧.

ص: ٧٤

٤- روى محمد بن مسلم الثقفى: قال: أقرأني أبو جعفر كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول الله وخطّ عليّ فإذا فيها أنّ السهام لا تعول [\(١\)](#).

٥- روى عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر: يا بُنَيَّ قُمْ فَأَخْرِجْ كِتَابَ عَلِيٍّ، فَأَخْرِجْ كِتَاباً مَدْرَجاً عَظِيماً وَفَتْحَهُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ حَتَّى أَخْرَجَ الْمَسْأَلَةَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا خَطُّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِمْلَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [\(٢\)](#).

وهذه الروايات تكشف عن أنّ كتاب الفرائض الذي ذكر لعليّ عليه السلام كان جزءاً من كتابه الكبير.

٦- روى ابن بكير قال: سألت زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن الصلاة في الثعالب والسنجاب وغيره من الوبير فأخرج كتاباً زعم أنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الصلاة في وبر كلّ شيء حرام أكله فالصلاة في وبره وشعره وجلده، وبوله وروثه وألبانه وكلّ شيء منه فاسد لا تقبل تلك الصلاة حتى تصلّي في غيره ممّا أحلّ الله أكله

١- الطوسي، تهذيب الاحكام ٩: ٢٤٧، والحر العاملي، وسائل الشيعة ١٧: ٤٢٣، الباب ٦ من ابواب موجبات الارث، الحديث ١١.

٢- رواه النجاشي في رجاله في ترجمة محمد بن عذافر بن عيسى الصيرفي المدائني ٢: ٢٦٠، رقم ٩٦٧.



ص: ٧٥

ثم قال: يا زرارَةَ هذا عن رسول الله [\(١\)](#).

وقد اقتصرنا على هذا المقدار ليعلم أنّ الكتاب، أقدم جامع حديثي، أملاه النبيّ وكتبه الإمام عليّ وكان الكتاب موجوداً بين أئمة أهل البيت يرثه كابر عن كابر، يصدر عن غيره وشاهده غير واحد من أصحابهم، والكتاب وإن لم يكن موجوداً بشخصه بيننا، لكن روى أصحاب الجوامع الحديثية كالكليني، والصدوق والطوسي، قسماً كبيراً منه وفرقوا أحاديثه على أبواب كتبهم على الترتيب المألوف، وقد جمعها العلامة الحجة الشيخ عليّ الأحمدى في موسوعته (مكاتيب الرسول) [\(٢\)](#).

نعم بقي هنا سؤال:

هل هذا الكتاب، نفس الصحيفة التي كانت في قراب سيفه أو غيره؟

الجواب: قد ذكر غير واحد من المحدثين أنه كانت لعليّ في قراب سيفه صحيفة لكن الخصوصيات التي ذكرت للكتاب في الروايات تدل مائة بالمائة على أنه غير الصحيفة التي كان يجعلها في قراب سيفه، وكيف وقراب السيف لا يسع إلا صغائر، مهما لفت وادرجت فأين هي من المواصفات التي وقفت عليها من أنه كتاب

١- الكليني، الكافي ٣: ٣٩٧ ح ١.

٢- الأحمدى، مكاتيب الرسول ١: ٧٢-٧٩.

ص: ٧٦

طولها سبعون ذراعاً، أو طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، أو مثل فخذ الفالج «(١)» أو أخرج أبو جعفر كتاباً مدرّجاً عظيماً، أو كتاباً جليلاً أو هو مثل فخذ الرجل مطويّاً، إلى غير ذلك ممّا مرّ ذكرها.

نعم روى أبو جحيفة، قال: سألت عليّاً رضي الله عنه: هل كان عندكم من النبيّ صلى الله عليه وآله شيء سوى القرآن؟ قال: والذي فلق الحنّة وبرأ النسمة، إلّا أن يوتى الله عبداً فهماً في القرآن، وما في الصحيفة، قلت: وما الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مؤمن بكافر «(٢)».

إنّ هذه الرواية مهمّاصحة ونقلها أئمة الحديث، لا تقابل ما نقلناه عن أئمة أهل البيت حول كتاب عليّ، ومواصفاته، ومشاهدة جمّ غفير لهذا الكتاب، وقد نقلنا النزر اليسير من الكثير، وهذا الحديث وما شابهه في التعبير وضعت لنفي ما عند عليّ من ودائع النبوة وعلوم النبيّ صلى الله عليه وآله، والذي يعرب عن ذلك، الاصرار على أنّه ليس عند عليّ سوى كتاب الله أو الصحيفة الموجودة في قراب سيفه، فقد رووها بالعبارات التالية:

أ- ما كتبنا عن النبيّ إلّا القرآن وما في هذه الصحيفة.

١- الكليني، الكافي ١: ٢٤١، الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين.

٢- الإمام أحمد، المسند ١: ٧٩.

ص: ٧٧

ب- من زعم أنّ عندنا شيئاً نقرأه إلّا كتاب الله أو هذه الصحيفة فقد كذب.

ج- ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء لم يخص به الناس إلّا ما في قراب سيفي هذا.

د- ما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً خاصاً دون الناس إلّا شيء سمعته، وهو في صحيفة قراب سيفي ... «(١)».

إلى غير ذلك من التعابير الهادفة إلى نفي علمه بشيء إلّا بالكتاب والصحيفة الصغيرة.

نحن نغض الطرف عمّا ذكرنا، فلوصح ما في هذه الرواية، فما معنى قولهم صلى الله عليه وآله لعليّ، أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وقد نقل كثير من الحفاظ والمحدثين، وهذا شمس الدين المالكي يذكره في شعره بقوله:

وقال رسول الله إنّي مدينة من العلم وهو الباب والباب فاقصد

وقد رواه من الحفاظ والأئمة لفيف ربّما يناهز مائة وثلاثة وأربعين شخصاً «(٢)» وقد ذكروا حول الحديث كلمات تعرب عن

١- لاحظ المصادر التالية: أحمد بن حنبل، المسند ١: ٨١، ١٠٠، ١٠٢، ١١٠، ابن كثير، البداية والنهاية ٥: ٢٥١، مسلم، الصحيح ٤: ٢١٧.

٢- لاحظ الغدير ٦: ٤١- / ٧٧.

ص: ٧٨

مفاد الحديث.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (المتوفى ٦٥٨ هـ): قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته، وحده فهمه ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحة فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام يأخذون بقوله في النقص والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، وبرصانه عقله، وصحة حكمه، وليس هذا الحديث في حقه بكثير، لأنّ رتبته عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين أجلّ وأعلا من ذلك «(١)».

وقال فضل بن رزبهان في ضمن رده على حجاج العلامة بأعلمية أمير المؤمنين بحديثي: أفضاكم عليّ، و: أنا مدينة العلم، من طريق الترمذي، قال ما هذا نصّه: وأمّا ما ذكره المصنف من علم عليّ فلا شك في أنّه من علماء الأمم، والناس محتاجون إليه فيه وكيف لا، وهو وصيّ النبيّ في إبلاغ العلم وودائع حقائق المعارف، فلا نزاع لأحد فيه، وما ذكره من صحيح الترمذي صحيح «(٢)».

١- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ١٩٥.

٢- دلائل الصدق ٣: ٥١٥ ط مصر.

ص: ٧٩

وقال المناوي في فيض القدير تفسيراً لقوله صلى الله عليه وآله: عليّ عيبه علمي: أي مظنة استفصاحي وخاصتي وموضع سرّي، ومعدن نفائسي. والعيبة: ما يحرز الرجل فيه نفائسه قال ابن دريد: وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل بشيء أراد اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح عليّ (١).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال: كنّا نتحدّث معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إلى عليّ سبعين، لم يعهدا إلى غيره (٢).

ورواه القندوزي في ينابيعه ثمانين عهداً مكان سبعين (٣).

فقد خرجنا بالنتائج التالية:

١- إنّ كتاب عليّ من إملاء رسول الله وخطّ عليّ.

٢- إنّ الكتاب أول جامع حديثي قام بكتابته عليّ لتدوين السنّة وصيانتها من الضياع.

٣- كانت في قرابة سيف عليّ صحيفة، ولكن لم تكن هي الشيء الوحيد عند عليّ، وإنّ كتاب عليّ - حسب ما مرّ من المواصفات -

١- المناوي، فيض القدير ٤: ٣٥٦.

٢- الطبراني، المعجم الصغير: ٦٩.

٣- القندوزي، ينابيع المودة: ٨٩.

ص: ٨٠

غير تلك الصحيفة.

٤- إذا كان عليّ هو باب علم النبيّ، والحاكم الروحيّ في عصر الخلفاء وما بعده فيلزم أن يكون عنده ودائع النبوة، وجميع ما تحتاج إليه الأمة في مجال الأحكام.

## ٢- مصحف فاطمة:

لا شك أنّه كان عند فاطمة مصحفاً، حسب ما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاص، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

المصحف: من أصف، بمعنى ما جعل فيه الصحف وإنّما سمي المصحف مصحفاً لأنّه جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين. ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقران في عصر نزوله، وإنّما صار علماً له بعد رحيل رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله قال السيوطي: روى ابن أشته في كتاب المصاحف أنّه لَمَّا جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر:

التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر. وقال بعضهم المصحف فإنّ الحبش يسمونه المصحف قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب

ص: ٨١

اللَّهِ وَسَمَّاهُ الْمَصْحَفَ «(١)».

وأما ما هو واقع هذا الكتاب، فقد كشف عنه الروايات المتضافرة عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلامة الشيخ مصطفى قشير العاملي في دراسته كتاب عليّ ومصحف فاطمة.

وإليك بعضها:

روى أبو عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... إِنَّ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ يَوْمًا، وَكَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا، وَكَانَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِيهَا فَيُحَسِّنُ عِزَّاءَهَا عَلَى أَبِيهَا، وَيَطِيبُ نَفْسَهَا، وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ، وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا، وَكَانَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُبُ ذَلِكَ فِي هَذَا مَصْحَفِ فَاطِمَةَ «(٢)».

روى أبو حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقى إليها بعد موت أبيها صلوات الله عليهما «(٣)».

١- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١: ١٨٥.

٢- الكليني، الكافي ١: ٢٤١.

٣- الصفار، بصائر الدرجات: ١٩٥، ط مكتبة المرعشي

ص: ٨٢

والعجب أن الدس الإعلامي قد اتخذ لفظ مصحف فاطمة ذريعة لاتهام الشيعة بأن عندهم قرآناً يسمى مصحف فاطمة، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم، فإن للحق دولة، وللباطل جولة. ولعل القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدثة تحدّثها الملائكة كما ورد في الرواية السابقة، غير أن فاطمة عليها السلام لا تقل شيئاً عن مريم البتول، ولا- عن امرأة الخليل. قال سبحانه: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» (آل عمران / ٤٢) إلى غير ذلك من الآيات الواردة في سورتي آل عمران، ومريم. وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى .. وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ» قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (هود / ٦٩- / ٧٣).

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدثتين، ففاطمة سيدة نساء العالمين أولى بأن تكون محدثة.



ص: ٨٣

**٣- ما هو مصدر روايات أئمة أهل البيت؟****إشارة**

هذا هو السؤال الثالث من الاسئلة الثلاثة المطروحة حول الخاتمية لدى الشيعة فنقول:  
انّ لعلوم أئمة أهل البيت مصادر مختلفة ونشير الى اصولها تاركين البحث في فروعها.

**أ- النقل عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه و آله**

إنّهم عليهم السلام كثيراً ما يروون الحديث عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه و آله معنعناً، من دون أن يتوسّط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.  
إنّ عليّ بن موسى الرضا لما ترك نيسابور عازماً إلى مرو، اجتمع حوله لفييف من المحدثين، فطلبوا منه أن يحدثهم بحديث جدّه صلى الله عليه و آله، فقال:  
حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر الصادق، قال: حدّثني أبي أبو جعفر الباقر، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن علي، قال: حدّثني أبي علي بن أبي طالب، قال: حدّثني رسول الله عن جبرئيل عليه السلام عن الله قال: لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي [\(١\)](#).

١- الصدوق: عيون أخبار الرضا ٢/ ١٤٣.

ص: ٨٤

إنّ هذا النوع من الأحاديث متوفّر في الجوامع الحديثية للشيعة، فلو قام باحث بجمع هذا النوع الذي يروى فيه كابر عن كابر والإمام بعد الإمام لبلغ موسوعه كبيرة.

هذا هو هشام بن سلمان، وحماد بن عثمان، وغيرهما من أصحاب الإمام الصادق، قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عزوجل «(١)».

### ب- النقل عن كتاب علي

إنّ أئمة أهل البيت كانوا يستندون إلى كتاب علي ويحتجون به، فكان الكتاب أحد مصادر علومهم التي يصدرون عنها، وقد وقفت على قسم قليل منها.

### ج- الإلهام أو تحديث الملائكة

١- الكليني، الكافي ١/ ٥٣ برقم ١٤.

ص: ٨٥

إنَّ أئمة أهل البيت حسب النصوص محدّثون، تحدّثهم الملائكة، كما كانت تحدّث مريم البتول وامرأة الخليل، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيئون عن الأسئلة فالكلّ ممّا كان يلقى في روعهم. وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلاً على من لم يعرف مقاماتهم، إلّا أنّه صحيح لمن درس حياتهم، ووقف على أحوالهم. ولأجل إيقاف القارئ على أنّ المحدّث أمر مما اتفق عليه الأعلام نبحت عنه على وجه الإيجاز:

### المُحدَّث في الإسلام:

المحدّث بصيغته المفعول: من تكلمه الملائكة بلا- نيوة ولا- رؤية صورة أو يلهم له ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره. المحدّث بهذا المعنى ممن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنة، ولو كان هناك خلاف فإنّما هو في مصداقه. وقبل ذلك نجد المحدّث في الأمم السالفة، فهذا صاحب موسى كان محدّثاً، فقد أخبره عن مصير السفينة والغلام والجدار على وجه جاء في سورة الكهف «(١)» فهو لم يكن نبياً ولكنّه كان عارفاً بما

ص: ٨٦

سيحدث وقد عرفه بإحدى الطرق المذكورة.

وهذه مريم البتول، كانت الملائكة تكلمها وتحديثها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» (آل عمران / ٤٢).

وقال سبحانه:

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يَبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (آل

عمران / ٤٥).

وهذه أمّ موسى يلقى في روعها ويوحى إليها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»

(القصص / ٧).

وأما السنّة النبويّة ففيها تصريح بأنّ في الأُمّة الإسلاميّة- نظير الأُمم السالفه- رجالاً يكلمون من دون أن يكونوا أنبياء؛ وإليك بعض

هذه النصوص:

ص: ٨٧

١- أخرج البخارى فيصحيحه عن أبى هريرة قال: قال النبى:

لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتى منهم أحد فعمر بن الخطاب (١).»

٢- أخرج البخارى عن أبى هريرة مرفوعاً أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، إن كان فى أمتى هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب (٢).»

قال القسطلانى فى شرح الحديث: يجرى على ألسنتهم الصواب من غير نبوة وقال الخطابى: يلقى الشىء فى روعه فكأنه قد حدث به، يظن فيصيب ويخطر الشىء به باله فيكون. وهى منزلة رفيعة من منازل الأولياء (٣).»

٣- أخرج مسلم فيصحيحه عن عائشة عن النبى: قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى امتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم، قال ابن وهب: تفسير «محدثون» ملهمون.

قال النووى فى شرحصحيح مسلم: اختلف العلماء فى تفسير المراد ب (محدثون) فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصييون إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشىء فظنوه، وقيل تكلمهم الملائكة وجاء

١- البخارى ٢: ١٩٤ باب مناقب عمر بن الخطاب.

٢- البخارى ٢: ١٧١، بعد حديث الغار.

٣- القسطلانى، إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى ٥: ٤٣١، انظر أيضاً ٦: ٩٩.

ص: ٨٨

في رواية مكلّمون وقال البخارى: يجرى الصواب على ألسنتهم وفيه، كرامات الأولياء «(١)». ومن راجع شروح الصحيحين يجد نظير هذه الكلمات بوفرة؛ والرأى السائد فى تفسير المحدث هو تكليم الملائكة أو الإلقاء فى الروح هذا ما لدى السنّة، وأما الشيعة، فعندهم أخبار عن أئمتهم تصرّح بأنهم محدّثون وفى الوقت نفسه ليسوا بأنبياء.

روى الكلينى فى باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث أحاديث أربعة: قال: المحدث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة. وفى رواية أخرى سألته عن الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك.

إلى غير ذلك من الروايات المصرّحة بأن الأئمة الاثني عشر محدّثون «(٢)».

روى الصفار فى بصائر الدرجات عن بريد: قلت لأبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام: ما منزلتكم بمن تُشبهون ممن مضى؟ فقال: كصاحب موسى وذى القرنين كانا عالمين ولم يكونا

١- النووى، شرح صحيح مسلم ١٥: ١٦٦.

٢- الكلينى، الكافى ١: باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث: ١٧٦.

ص: ٨٩

نبيّين «(١)».

هذا ما لدى الفريقين وبذلك يُعلم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من الله سبحانه لا يلازم كون المخبر نبياً، وإنّ تكلم الملائكة مع إنسان لا يصلح دليلاً على كونه مبعوثاً من الله سبحانه للنبوّة.

ولو اعتمدت الشيعة على علم الأئمة لأجل كونهم وارثين لعلم النبي ووارثين لما عند عليّ من الكتب التي كتبها بإملاء من رسول الله، أو محدّثين تلقى في روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدل على أنّهم أنبياء ومن نسبهم إلى تلك القرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم، فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه



المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائي" / بناية "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الإلكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الإلكتروني: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان

# الغمامة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

